

الحياة الأخرى

انقطاع العمل بالموت:

يقول الرسول ﷺ:

«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم - كتاب الوصية.

فالموت هو الحدّ الفاصل بين الحياة الدنيا وبين الآخرة، وعليه فإن منازل الآخرة تبدأ بمجرد مغادرة الروح البدن.

وهنا سنتحدث عن هذه المنازل مسلسلة مبتدئاً بالموت، وما يتصل به، وما يتبعه إلى قيام الساعة وما يتلوها من مشاهد، حتى استقرار الإنسان في الجنة أو النار.



سوء الخاتمة والأعمال بالخواتيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة» رواه مسلم - كتاب القدر.

وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم» رواه البخاري - كتاب القدر.

وتكون سوء الخاتمة:

أ - لمن أصرّ على الكبائر، وأقدم على المحرمات، فربما غلب عليه ذلك، حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة.

ب - لمن كان مستقيماً ثم يتغير عن حاله، ويخرج عن سنته.

لذلك قال العلماء:

(فلا تعجب بإيمانك وعملك، وصلاتك وصومك، وجميع قربك، فإن ذلك

وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك. . فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع

غيرك، وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف الطير، فكم من روضة
أمست وزهرها يانع عميم، فأصبحت وزهرها يابس هشيم. . . كذلك العبد يمسي
وقلبه بطاعة الله مشرق سليم، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم^(١).

ولذلك أوجب الله تعالى التوبة على المؤمنين، لتحسن خاتمتهم، ويكون
مصيرهم الجنة، فإن العبد لا يدري متى تُقبض روحه، إذ أن الموت يأتي على الصغير
والكبير، والصحيح والسقيم.

فلا بد أن يبادر الإنسان إلى طاعة ربه، ما دام مكلفاً شرعاً، لأن سن التكليف
يتعلق به الثواب والعقاب. والطاعة سبيل الوصول إلى جنة الفردوس.



التوبة

التوبة في أصل اللغة: الرجوع. يقال: تاب أي رجع.
وفي الاصطلاح: الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه^(٢).
قال النبي ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر» أخرجه الترمذي، أي:
عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم، وإنما يغرغر إذا قطع الوتين.

والتوبة: فرض على المؤمنين باتفاق المسلمين، بدليل:
قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:

[٣١].

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨].

شروط التوبة:

- ١ - الندم بالقلب على ما اقترف من معصية.
- ٢ - ترك المعصية في الحال.
- ٣ - العزم على أن لا يعود إلى مثلها.
- ٤ - أن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره.

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - للقرطبي. مطابع مذكور بالقاهرة ٣٦ - ٣٨.

(٢) الرسالة الشنيرة، مصر سنة ١٩٥٧، ص ٤٥.

فإذا فقد شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة^(١).

هذا إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي.

فإن كانت متعلقة بحق آدمي، فيشترط بالإضافة إلى الشروط المتقدمة: أن يبرأ

من حق صاحبه، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكّنه منه، أو طلب عفو، وإن كان غيبة استحله منها^(٢).

أما حديث (الندم توبة)^(٣) فهو نص على معظّمه، أي معظم أركانها الندم. فهو

كما قال النبي ﷺ: «الحج عرفة»^(٤) أي: معظم أركانه عرفة (أي الوقوف بها).

ومن أهل التحقيق من قال: يكفي الندم من تحقيق ذلك، لأن الندم يمتنع ما

بعده، فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ما هو مُصِرٌّ على مثله، أو عازم على الإتيان بمثله^(٥).



الموت

تعريفه:

الموت ليس بعدم مَحْض، ولا فناء صِرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقتها، وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار^(٦).

والروح: جسم لطيف شفاف، حي لذاته، مشبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وعند مفارقتها الجسد ينقطع تصرفه، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حسب مشيئتها^(*).

(١) التذكرة للقرطبي ص ٤٥ - ٤٦، وفي الرسالة القشيرية ص ٤٥ ورياض الصالحين ص ١٨ - ١٩ لم يذكر الرابع.

(٢) رياض الصالحين السابق.

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ. وَهُوَ صَحِيحٌ/ الجامع الصغير ١٨٩/٣.

(٤) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السَّنَنِ الْأَرْبَعَةَ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَالْبَيْهَقِيُّ وَهُوَ صَحِيحٌ/ الجامع الصغير ١٥١/١.

(٥) الرسالة القشيرية ٤٥ - ٤٦.

(٦) التذكرة ص ٤.

(*) رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة ص ١٠٠.